النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ١٤ / ١٩٩٩

الأحد ٤ نيسان

أحد الشعانين

مبارك الآتي باسم الرب

الـــرســـالـــة (فيليبي ٤ : ٤ – ٩)

الإنـــجـــيـــل (يوحنا ١٢ : ١ – ١٨)

+ الأسبوع العظيم في القرون الأربعة الأولى

مع الإحتفال بتذكار إقامة لعازر من بين الأمـــوات ودخـــول الـــرب الـــى أورشـــليم (الشعانين) ننهي رسمياً فترة الصيام الأربعيني لندخل في رحلة الأسبوع العظيم التـــي تتـــوَّج بقيامة الرب وانتصاره على عدو الإنسان الأول، أي الموت. مـــا نقـــوم بـــه فـــي الكنيســـة الأرثوذكسية خلال هذا الأسبوع هو أقرب ما يكون لما كان يمارَس في الكنيسة في النصـــف الثاني من القرن الرابع، على الأقل في الشكل وتدرّج ايقاع الخِدَمْ، لأن المخطوطات القديمة لا تخبرنا تفصيلاً عن مضمون هذه الخِدَم.

قبل سرد تفاصيل تذكارات هذا الأسبوع في القرون الأولى نشير الى أنه كان دائماً في وعي الآباء القديسين الذين رتبوا أن تُقام هذه التذكارات، أن يُمنَح المؤمنون فرصة لكي يحيوا من جديد هذه الأحداث الخلاصية : الآلام والموت والقيامة، ليدخلوا في سر خلاص الرب يسوع الذي عبره صَالَحَ البشرية مع الله والذي سوف يكون كماله وتحقيقه في المجيء الثاني. وهذا هو هدف الليتورجيا بشكل عام، إذ هدفها لا أن نتذكّر بل أن نحيا الحدث كأنه الآن ويخصنّي شخصياً.

+ القرون الثلاثة الأولى:

لقد شكلت قيامة الرب الحدث الأهم وركيزة الإيمان الأساسية في الإيمان المسيحي منذ العصر الرسولي في القرن الأول: " إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطلُ أيضاً إيمانكم. ونوجد نحن أيضا شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة اللهَ أنه أقام المسيح" (١كو ١٥: ١٤-١٥). لقد بشّر الرسل بالذي عاشوا معه وشهدوا موته على الصليب، وظهر لهم بعد قيامته من بين الأموات. يقول الرسول بولس: " لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا، إذاً لنُعيِّد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشرّ والخبث بل بفطير الإخلاص والحق " (١ كو ٥: ٧ و٨) ويتابع "انني أمكث في أفسس الى يوم الخمسين" (١ كو١٦: ٨). هذا الكلام يوحي بأن الإحتفال بعيد الفصح المسيحي (قيامة الرب) كان موجوداً منذ العصر الرسولي إذ ان الرسالة الى أهل كورنثوس كُتِبت حوالي عام ٥٥، لكننا لا نعرف تفاصيل أكثر وما إذا كان احتفالاً سنوياً، وهذا هو المرجّح، كما لا نعرف تاريخ تعييده، هل مع اليهود أو بانفصال عنهم. جُلّ ما نعرفه أن الفصح المسيحي كان يشكّل قلب الحياة الكنسيّة كما كان الفصح اليهودي لدى اليهود. وبما أن المسيحيين الأول تأثروا بعبادتهم باليهود، فالأرجح أن يكونوا قد أقاموا تذكاراً سنوياً للفصح المسيحي على غرار التعييد السنوي للفصح العبراني عند اليهود (عبور البحر الأحمر)، وفحوى المسيحي موت الرب وقيامته، العبور من العبودية للشرير الى الحرية بيسوع المسيح، الى حرية أبناء الله. هذا ما كان يتم في القرن الأول.

في القرن الثاني يبدو الأمر أكثر وضوحاً إذ صار مؤكداً تعييد الفصح المسيحي، وكان العيد يشمل تذكار موت الرب وقيامته. هو احتفال بالخلاص الذي ناله البشر عبر هذه الأحداث الخلاصية. وتجمع المخطوطات القديمة على ان الاحتفال كان يمتد في سهرانية طوال الليل، من مساء السبت حتى صياح الديك صباح الأحد، ويتوَّج بالقداس الإلهي (Epistula Apostolorum) نص كُتب في القرن الثاني في آسيا الصغرى). وكانت معظم الكنائس تحتفل بهذا العيد ليل السبت – الأحد الذي يلي عيد الفصح اليهودي، لأن الأحد هو أول أيام

الأسبوع، يوم الخلق الجديد، يوم قيامة الرب يسوع من بين الأموات. كنائس أخرى، خاصة في آسيا الصغرى، بحسب الرسول يوحنا الإنجيلي، كانت تحتفل بالفصح المسيحي في ١٤ نيسان مع الفصح اليهودي، في أي يوم وقع ، ويمتد العيد طوال ليل ١٤-١٥ نيسان. وقد يكون هذا التطويل لجعله منفصلاً عن العيد اليهودي. في كل حال بقي أهل آسيا الصغرى يعيّدون الفصح في ١٤ نيسان لغاية القرن الخامس حين بدأوا يعيّدون الفصح بحسب التاريخ الذي أعلنه المجمع المسكوني الأول في نيقية عام ٣٢٥ وقضى بأن يكون العيد يوم أحد، بعد الاعتدال الربيعي وبعد اكتمال البدر (أي الرابع عشر من الشهر القمري). كما كلّف المجمع أسقف الإسكندرية بإقامة حسابات الفصح كل عام، كون الإسكندرية مشهورة بعلم الفلك. نذكر هنا اعتقاداً سائداً بين المسيحيين أن الرب سوف يأتي في مجيئه الثاني خلال سهرانية الفصح ليكمل عمل الله الخلاصي.

في ذلك الوقت كان يسبق الاحتفال صيام لمدة يوم واحد، أي يوم السبت. وفي القرن الثاني، بعدما درجت عادة الصوم يومي الأربعاء والجمعة، صار يسبق الاحتفال يوما صيام للتهيئة.

في منتصف القرن الثالث امتد الصيام لستة أيام قبل الفصح وبذلك صار ممهَّدا لما دُعي الأسبوع العظيم في القرن الرابع. في القرن الثالث سهرانية الفصح واضحة وجلية في معظم المخطوطات التي وصلت الينا ("التقليد الرسولي" للأسقف هيبوليتوس في روما، "في المعمودية" لترتليان، وغيرهما)، والعيد كان استعادة لذكرى موت الرب وقيامته. في بداية هذا القرن أيضاً بدأ يتوضح الربط بين المعمودية وسهرانية الفصح، وصارت المعمودية تُقام في هذه الليلة، مع الإحتفال بأيام أخرى للمعمودية كالعنصرة، ولم تحصر المعمودية في يوم الفصح إلا في القرن اللاحق. كان الموعوظون، طالبو المعمودية، يخضعون لفترة تهيئة وصوم وتلاوة صلوات الإستقسامات (صلوات لطرد الأرواح الشريرة والتعطيل قوتها يتلوها الكاهن في بدء خدمة المعمودية)، ويتم تعميدهم أثناء السهرانية خلال تلاوة القراءات الكتابية التي كانت جزءاً من القسم الأول من السهرانية وبعدها يدخلون الى الكنيسة للإشتراك في القداس وتناول القرابين المقدسة. أحد الكتّاب يقول: "وحدة الآلام والانتصار على الموت يشكّلان كل احتفال الفصح. فإن نتائج العمل الخلاصي العظيم الذي تمّمه الرب والتي إليها يطمح المرشحون للمعمودية هي نتائج عمل الصليب والقيامة. لذا تُقام المعمودية في وقت محدد بعد الصوم القاسي والسهرانية اللذين يُؤدّيان الى فرح الساعة التي قام فيها الرب منتصراً على الموت، والى الفرح الذي خرج من حزن الصليب".

+ القرن الرابع :

مع حصول الكنيسة على السلام في القرن الرابع واهتمام الإمبراطور قسطنطين ووالدته هيلانة ببناء الكنائس في المواقع التي جرت فيها أحداث آخر أسبوع من حياة يسوع على الأرض (القبر المقدس، بستان الزيتون، بيت عنيا، إلخ...)، بدأت ملامح الأسبوع العظيم تتكون، وصارت التذكارات والإحتفالات التي سنعرض لها تمتد لأكثر من أسبوع قبل عيد الفصح. ويبدو أن معظم هذه الملامح اتخذت شكلها خلال أسقفية القديس كيرلس الأورشليمي (كاتب التأمل في الصفحة الثالثة من هذه النشرة) في المدينة المقدسة أورشليم (٣٢٩-٣٨٦). الرحالة أثيريا، الراهبة الإسبانية التي قامت برحلة حج الى الأراضي المقدسة بين عامي ٣٨١ و٣٨٤ (أو بين ٣٨٤ و٢٨٧ حسب مصادر أخرى) كتبت رسالة الى أخواتها تسر فيها ما كان يحصل في أورشليم خلال هذا الأسبوع. فبعد انحسار الاضطهادات في القرن الرابع صارت أورشليم محجة للمؤمنين من كافة أقطار المسكونة آنذاك، يأتون لزيارة الأماكن المقدسة وبشكل خاص الأماكن التي قضى فيها يسوع أيامه الأخيرة. لذلك، وبهدف إغناء الطقوس، طورت كنيسة أورشليم هيكلية هذا الأسبوع لتتلاءم مع الأحداث الخلاصية، وبهذا تكون وفرت للحجاج هيكلية منظمة لحجهم لكي يحيوا سر الخلاص من جديد. هذا التجديد لم يكن باستطاعة أية كنيسة أخرى القيام به،لا القسطنطينية ولا روما. فقط كنيسة أورشليم تستطيع هذا لان الرب يسوع عاش في هذه المدينة وحولها وفيها توجد الأماكن المقدسة. ومن هناك نقل الحجاج الى بلادهم ما رأوه وهكذا انتقل الاحتفال بالأسبوع العظيم الى باقي الكنائس، وفي هذه الكنائس تمت بعض الإضافات أو الحذوفات.

ما نمارسه اليوم، في الشكل على الأقل ، هو ما كان موجودا تقريبا في أورشليم في أواخر القرن الرابع، استنادا الى كتابات الرحالة أثيريا التي كتبت بالتفصيل ما كان يجري، لكنها أغفلت ذكر مضمون الصلوات وترتيبها الليتورجي. لقد كتبت وصفا خارجيا لما كان يجري في هذا الأسبوع إضافة الى الخدم اليومية العادية التي كانت تقام على مدار السنة والتي لم تذكرها لأنها اعتبرتها خدما معروفة.

بنيت الكنائس في القرن الرابع في مختلف الأمكنة في أورشليم وحولها فساهمت في تأمين الأماكن اللازمة للحج. وهذه الكنائس هي كنيسة صهيون على جبل صهيون تذكارا للعشاء الأخير وعلية العنصرة، كنائس موضع الجمجمة Calvary الثلاث، كنيسة القيامة على

قبر المسيح، وبقربها كنيسة الشهادة (Martyrium) في مكان الصلب، وكنيسة الجلجلة أو كنيسة ساحة الصليب، وفي جبل الزيتون قرب وادي قدرون بُنِيت كنيسة الزيتون (Eleona) في الكهف الذي أعطى فيه الرب يسوع آخر تعليمه للرسل وخطبة الوداع، وكنيسة الصعود (Imbomon) في مكان الصعود، وكنيسة الجثمانية حيث صلّى يسوع وطلب أن تعبر عنه كأس الموت، إضافة الى كنيسة بيت عنيا التي بُنِيت فوق قبر لعازر.

الخِدَم الخاصة بالأسبوع العظيم، كما وصفتها أثيريا، تبدأ عملياً مساء الجمعة قبل أحد الشعانين فتُقام سهرانية تمتد طوال الليل في كنيسة جبل صهيون وتتوَّج بالقداس الإلهي. بعد ظهر السبت يجتمع المؤمنون في كنيسة بيت عنيا لإقامة تذكار إقامة لعازر أخي مرتا ومريم. يوم الأحد هو تذكار دخول الرب الى أورشليم. فبالإضافة الى القداس الصباحي في كل الكنائس يجتمع المؤمنون بعد الظهر للصلاة في كنائس جبل الزيتون ومن هناك ينطلقون في زياح الى المدينة المقدسة عبر وادي قدرون، حاملين سعف النخل. أيام الإثنين والثلاثاء والأربعاء كانت تُضاف خدمة الى الخِدَم العادية اليومية. صلاة الإثنين كانت تُقام في كنيسة الشهادة ويُقرا خلالها الفصل الإنجيلي حول طلب أم ابنَيْ زبدى، يعقوب ويوحنا، من الرب أن يجلسهما معه في الملكوت. صلاة الثلاثاء كانت تُقام في كنيسة الزيتون وفيها يُقام تذكار خطبة يسوع الوداعية لتلاميذه. أما يوم الأربعاء فكانوا يقومون بزيارة خاصة لكنيسة القيامة حيث تُقام صلاة يُقرأ فيها المقطع الإنجيلي حول غسل المرأة الزانية قدمَي يسوع بالطيب في بيت سمعان الأبرص وتوافق يهوذا مع الكهنة اليهود لخيانة يسوع.

صباح الخميس العظيم كانت تُقام الخِدَم الليتورجية العادية في الصباح، وبعدها تبدأ الخِدَم الخاصة: الأولى لتذكار خيانة يهوذا ليسوع وموت يهوذا، ويتبعها تذكار العشاء الأخير متوَّجاً بقداسين إلهيين: الأول في كنيسة الشهادة ينتهي عند الرابعة بعد الظهر، والثاني بعده مباشرة في كنيسة الجلجلة أمام الصليب الموضوع على الصخرة. بعدها وجبة طعام سريعة تليها خدمتان الأولى في كنيسة الزيتون وتستمر من السابعة مساءً الى الحادية عشرة ليلاً تتخلّلها الترانيم والقراءات (ربما يوحنا ١٣: ١٦ – ١٨ : ١)لتذكار تعليم يسوع الأخير، ثم ترانيم وزياح الى كنيسة الصعود القريبة حيث تُتلى الصلوات والقراءات لحين صياح الديك. بعدها ينتقل الجميع الى موقع الجثمانية حيث صلّى يسوع ويُقرأ المقطع الإنجيلي حين دعا تلاميذه ليسهروا لئلا يدخلوا في تجربة، ثم يتقدّمون الى الموقع الذي أُلقي فيه القبض على يسوع، ويصلون مع بزوغ الفجر الى بوابة المدينة عبر الوادي، ومنها يتابعون تقدّمهم ويبلغون موقع الصليب عند الثامنة من صباح الجمعة فيقيمون تذكار محاكمة يسوع أمام بيلاطس. ومن الثامنة حتى الظهر تُعرَض خشبة الصليب في موقع الصليب ليتسنَى للجميع

السجود لعود الصليب المحيي، ومن الظهر حتى الثالثة بعد الظهر وفي نفس المكـــان، تُقــرأ المزامير والرسائل والمقاطع الإنجيلية المختصة بالآلام والصلب، تليها صلاة الساعة التاســعة والغروب في كنيسة الشهادة. بعدها ينتقل الجميع الى كنيسة القيامة، الى قبر المسيح، ويقيمون دفن المسيح حيث يُقرأ المقطع الإنجيلي عن مطالبة يوسف الرامي بجسد يسوع ليدفنه في قــبر جديد. ينتهي يوم الجمعة ببركة الأسقف للمؤمنين والموعوظين.

تذكر أثيريا أن الكهنة كانوا يسهرون، مع من يستطيع من المؤمنين، قرب القبر طوال ليلة الجمعة – السبت. صباح السبت تُقام خدمة الساعة الثالثة (التاسعة صباحـــاً) والسادســة (الثانية عشرة ظهراً) ولا تُقام الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر) لكـــي يســتعدوا لســهرانية الفصح التي تُقام في كنيسة الشهادة وتبدأ مع خدمة النور (Lucernarium) ، أي صلاة الغــروب التي تبدأ بطقس إضاءة القناديل من نور الصباح المضاء دوماً داخــل قــبر المســيح. أثنــاء القراءات من العهد القديم يتم تعميد الموعوظين في بيت المعمودية، ثـــم يخرجــون حوالــي منتصف الليل في زياح ويعبرون أولاً كنيسة القيامة حيث يتلو عليهم الأســـقف صـــلاة ثـــم يتقدّمون الى كنيسة الشهادة ليشتركوا في القداس الإلهي مع باقي المؤمنين (قداس سبت النــور في أيامنا). الملفت للنظر أنهم كانوا يقيمون بعد هذا القداس قداساً آخر في كنيسة القيامة، وقــد يكون هذا القداس الثاني أصل قداس يوم أحد الفصح الذي نحتفل به في أيامنا.

+ زاوية الأخبار

* بيان مجمع الكنيسة الصربية

عشية بدء قوات حلف شمال الأطلسي قصف المدن الصربيـــة، ليــل ٢٤-٢٥ آذار، أصدر المجمع المقدس للكنيسة الأرثوذكسية الصربية البيان التالي :

" بعد عقد اجتماعه في مركز البطريركية في ٢٣ آذار، يودّ المجمع المقدس للكنيســة الصربية أن يعلن موقفه من الوضع في كوسوفو والتهديد بقصف صربيا ويوغسلافيا سابقاً.

تعلّمنا الخبرة الإنسانية، القديمة والحديثة على أراضي يوغسلافيا السابقة، ان الحــرب والعنف العرقي بشكل خاص، لا يخلّفان إلا الدماء والتعاسة للجميع، وبالإضافة الـــى نتــائج روحية ولأخلاقية واجتماعية طويلة الأمد وجراح مفتوحة.

من منطلق وعينا لهذا الأمر، نطلب ونسأل بإسم الله، وقف الاعتداءات في كوســـوفو وميتوخيا (Metohija)، والعمل على معالجة الوضع بالوسائل الســـلمية والسياســـية المحضـــة. طريق اللاعنف والتعاون هي السبيل الوحيد المبارك من الله والذي يتجـــاوب مـــع الشـــرائع الأخلاقية والخبرات الإنسانية والسماوية.

بقلق شديد من الخطر المحدق بمهد صربيا – كوسوفو وميتوخيا (Metohija) وبكل قاطني كوسوفو، وخصوصاً التهديدات الرهيبة التي تطلقها قوى العالم العسكرية بقصف أرض آبائنا، نذكّر كل القادة المسؤولين في المجتمع الدولي أن الشرور في كوسوفو، أو في أي مكان في العالم، لا يمكن تصحيحها بشر أكبر وأشد لاأخلاقية: قصف بلد أوروبي صغير له كرامته. لا يمكننا التصديق ان المجتمع الدولي أصبح عاجزاً لدرجة أنه لا يستطيع أن يجد السبيل الى استقرار سلمي وإنساني حتى أنه يلجا الآن الى وسائل عنف كبيرة، مظلمة ومذلّة، من أجل المصلحة الفردية والوطنية، ليقمع عنفاً أقل وشراً أصغر.

نصلّي الى ملك السلام، الله الحي والضابط الكل، الذي بيده كل حكم وعدالة أن يمنح شعب كوسوفو وميتوخيا (Metohija) وكل أرض آبائنا، وكل مكان في العالم، العدالة والأمان والحرية، ويعطي قوى الأرض العظمى المنطق والحكمة".

نذكر ان المعلومات التي وردت إلينا تفيد عن سقوط الصواريخ على القرى في كوسوفو صربيا وعن حصول عدد من الإصابات بين المدنيين. وقد امتلأت الأديار باللاجئين الهاربين من القصف الذي يطاول المدن والقرى.

+ تأمل

استجاب الرب لدعاء الانبياء إذ لم يتخلَّ الآب عن جنسنا الهالك بل أرسل ابنه، الوب الطبيب السماوي. فقد قال أحد الأنبياء: " سيأتي السيّد الذي تلتمسونه، وسيأتي فجأة "– الى أين؟ "سيأتي السيد الى هيكله"(ملاخي ٣: ١) حيث رجمتموه (يو ٨: ٥٩). ولدى سماعه ذلك يقول له نبي آخر:تتحدث عن خلاص الله، تتحدّث عنه بصوت خافت؟ تبشّر بمجيء الله لخلاص البشر، وتقوله بالسرّ؟ إصعدي على جبل عالٍ يا صهيون، أنت التي تحملين البشرى السعيدة. قولي لمدائن يهوذا، – ماذا أقول؟ هوذا إلهكم، " هوذا السيد الرب يأتي بقوة" (أشعياء ٤٠: ١٠) . والرب نفسه يقول:" هاءنذا آتي وأسكن في وسطك ، ويقول الرب،فتتصل أمم كثيرة بالرب" (زكريا ٢: ١٠– ١١). لقد رفض الإسرائيليون خلاصي ولذلك جئت "لأجمع كل الأمم والألسنة" (أشعياء٦٦: ١٨). لقد جاء الى بيته فما قبِلَه أهل بيته (يو ١: ١١). أنت آتٍ ولكن ماذا تهب الأمم؟ " أتيت لأجمع كل الأمم وأجعل بينهم آية" (أشعياء ٦٦: ١٩)، لأني سأضع على جبين كل من جنودي علامة آلامي على الصليب... وقال نبي آخر: "وطِئَ السماوات نازلا، وتحت قدميه الضباب" (مز ١٧: ١٠). وهذا النزول من أعلى السماوات لم يعرفه البشر.

وبعد ما سمع سليمانُ داودَ أباه ينطق بهذا الكلام بنى هيكلاً عجيباً. وغذ رأى مقدّماً ذاك الذي سيأتي الى الهيكل صاح منذهلاً: " هل يسكن الله حقاً على الأرض مع البشر؟"(١ ١ملوك ٨: ٢٧). فيجيب داود في المزمور المُهدى الى سليمان: " ينزل كالمطر على الجزير (أو الحصيد أي الزرع المحصود أو الجزير أي الصوف المجزوز) وكالغياث على الأديم" (مز ٧١: ٦).

مَن هو النازل؟ فيجيب داود بقوله :" سيبقى ما تعاقب الشمس والعمر، جيلاً بعد جيل" (مز ٧١: ٥). ويقول نبي آخر: "إهتزّي طرباً، يا بنت الله، واهتفي بأناشيد الابتهاج يا بنت أورشليم، هوذا ملكك يأتيكِ صدّيقاً مخلِّصاً ووديعاً، راكباً على أتان وجحش ابن أتان، لا على مركبة" (زكريا ٩:٩ متى ٢١: ٥). لديك إذاً العلامة التي نفرد بها الملك الآتي : يسوع وحده بين الملوك جلس على جحش ودخل الى أورشليم كملك بين الهتافات. وما سيفعل هذا الملك الآتي؟ " ولأجلك أيضاً وبسبب دم عهدك، سأُطلِق أسراكِ من الجبّ الذي لا ماء فيه " (زكريا ٩: ١١)

... " هوذا إلهكم، إنه يأتي ويخلِّصكم، حينئذ تتفتَّح عيون العُمي، وآذان الصُمّ تتفتَّح. وحينئذ يطفر الأعرج كالأيّل، ويترنّم لسان الأبكم" (أشعياء ٣٥: ٤ –٦). هل من شهادة أخرى؟ أنت تقول، أيها النبي، إن الربّ آتٍ. ولكن ما هي الآيات البيّنات التي صنعها لُيعلن عن مجيئه؟ كيف يمكنك القول في موضع آخر؟ " إن الرب آتٍ ليدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم" (أشعياء ٣: ١٤). هذه هي العلامة الرئيسية: إن الرب سيُحَاكم من خدّام الشيوخ ويُصلب.

القديس كيرلس الأورشليمي
(٣١٤ – ٣٨٧)